السيدة حواء الأنصارية رضي الله عنها

«حواء بنت يزيد بن سنان بن كرز بن زعوراء «الأنصارية» قال «مصعب»: أسلمت، وكانت تكتم إسلامها من زوجها «قيس بن الخطيم» الشاعر، فلما قدم «قيس» مكة حين خرجوا يطلبون الحِلْفَ من قريش، عرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام، فاستنظره «قيس» حتى يقدم المدينة، فسأله رسول الله ﷺ أن يجتنب زوجته «حواء بنت يزيد»، وأوصاه بها خيراً، وقال له: (إنها قد أسلمت)، ففعل «قيس»، وحفظ وصية رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، وقال: (وَفَى الأُدَيْعجُ).

وقد أنكر بعض العلماء هذا على «مصعب»، وقال منكره: إن زوجها «قيس بن شماس»، وأما «قيس بن الخطيم» فقتل قبل الهجرة. قال أبو عمر: والقول قول «مصعب»، و«قيس بن شماس» أسنُّ من «قيس بن الخطيم» ولم يدرك الإسلام، أخرجه أبو عمر.

قلتُ: قد وافق «مصعباً» ابنُ إسحاق، فجعلها امرأة «قيس بن الخطيم»[1]. رحمها الله تعالى.

السيدة خالدة بنت الأسود رضي الله عنها

قال أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب: [«خالدة بنت الأسود بن عبد يغوث» ذكرها «بقي بن مخلد» في تفسير سورة «آل عمران» في قوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [آل عمران: 27] وذكره بسنده عن معمر، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ دخل عليها فرأى عندها امرأة تصلي في المسجد، وكانت متعبدة، فقال النبي ﷺ: (يا عائشة! من هذه؟) قالت: إحدى خالاتك. قال: (إن

(1) أسد الغابة (5/ 256) والاستيعاب (4/ 1814).

خالاتي بهذه البلاد لغرائب، فأي خالاتي هذه؟)، قالت: هذه «خالدة بنت الأسود بن عبد يغوث»، قال: (سبحان الله الذي يخرج الحي من الميت).

إن صح هذا الحديث، فإنما كانت خالته، لأن «الأسود بن عبد يغوث ابن وهب بن عبد مناف بن زهرة» والد «خالدة» هذه هو ابن أخي «آمنة بنت وهب» أم النبي ﷺ، فخالدة بنت الأسود بنت ابن خال النبي ﷺ فهي من خالاته، ولم أعرف من ذكرها غير «بقي بن مخلد»[1]. رحمها الله تعالى.

السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

سيدتي الطاهرة[2]، يا أوفى الحليلات! ويا خير الأمهات! أود - بعد استئذانك - أن أحييك بهذه الأبيات، معبراً عن مدى إعجابي بجليل ولائك، وعظيم وفائك، لقرة عيون المسلمين، ورسول رب العالمين ﷺ، ولئن خذلني اليراع في إظهار فضلك، وتبيان نبلك، فأنا على ثقة بأنك خير من عَذَر، وأنَّى لي أن أقضي حق من خصها بالتحية رب البشر؟ سيدتي:

لِتَقَّر فيما نِلْتِه عيناكِ ... يَا مَنْ بِخَير تَحية أَقْرَاكِ
جِبْرِيْل مِنْ رَبِ السَمَاء مسلماً ... ومخلداً بَيْنَ الوَرَى ذِكْرَاكِ
بنتُ الْخُوَيلِد يَا أحبَّ حليلةٍ ... لِلْمُصْطَفَى سُبْحَان مَنْ سَوَّاكِ!
ورآكِ أجدَر مَنْ يَفُوز بِوَصْلِها ... أغلَى الأَحِبَة عِنْدَه فَدَعَاكِ
لِسَعَادة الدارين حِين اختَارَهُ ... زَوْجاً أَصَبْتَ بِه جَميع مُنَاكِ
ثم اصطفَاك عَلَى نِسَاء جِنَانه ... ولِحُورِهَا لَمْ يَعْط مِثْل عَطَاكِ
يَا خَير مُوفِيةٍ بِعَهْد حَلِيلها ... لله دَرُّك، مَا أشد وَفَاكِ!
قَدْ كُنْت رِدْءَ «مُحَمَّد» ومَلاَذَه ... وَرَضِيتِ حُبَّه غَايَةً لِهَنَاكِ

(1) الاستيعاب (4/ 1816).
(2) الطاهرة: لقب السيدة (خديجة) في الجاهلية.

وشَـدَدتِ أزره حِـينَ قَـامَ مبشِّـراً ... بِـزَوَال أهـل الـشـرك والإشـراكِ
ولَكَـمْ عَـراه الـغَـمُّ مِمَّـن أعْـرَضُـوا ... عَـنْ خَـيـر هَـدْيِ نُـوره أغـراكِ
بِه فاتَّبعتِ سَبيله وكشفتِ مِنْ ... غَـمَّـائه سُحُباً بِفَضْل حجاكِ
ولَكـم أتـاكِ وقَـدْ تَـمَـلـكـه أسًـى ... حَجَبَ ابْتِسَامَة ثَغْره الضحَّاكِ!
فَإذَا ابـتِـسَـامـتـه يَـعُـود بَـرِيـقَـهَـا ... وأسَـاه يَـمْـتَـخـفِـي لَـدَى رؤيـاكِ
وكَفَاك فضلاً ذَلِكَ الحُب الَذي ... بِه أشْرَف الـثَـقْـلَـيـن قَـدْ أصفـاكِ!
يَـا أمـتـا مَـاذَا فَـعَـلْـتِ بِـقَـلْـبـه؟ ... بَـل مَـا الَّـذِي أهـدَت إلَـيـه يَـداكِ؟
أنـهَـلـتـه كـأس الـحَـنَـان وَلَـم يَـكُـن ... قَـدْ ذَاقَ طَـعـمـه قَـبْـلَ أنْ يَـلـقَـاكِ
فاللَّطْمُ[1] بعد اليتم حالا دونه ... وكـلاهـمـا قـد أُنْـسِـيَـا بـجَـدَاكِ[2]
عَـوَّضْـتِـه عَـمَّـنْ قَـضَـى مِـنْ أهـلـه ... بِـحَـنَـانِـكِ الْـوَافَـي غَـدَاة رَآكِ
فَـسَـقَـاكِ مِـنْ نَـبْـع الْـمَـوَدَةِ صِـرْفَـهـا ... وغَـدَا هَـوَاهُ مُـوَافِـقًـا لِـهَـوَاكِ
حَـتَّـى إذَا غَـادَرْتِـه عَـنْ غِـرَّةٍ ... والْـمـوت عَـنْ عَـيـنِـه قَـدْ أخـفَـاكِ
لَـمْ يَـنْـسَ عَـهـدكِ والْـوَفَـاء سَـبِـيـلُـه ... يَـا قـرة الـعَـيـنِـيـن، مَـا أحْـرَاكِ
بِـوَفَـاء أوفَـى الأوفِـيَـاء وخَـيـر مـن ... بِـالـخَـيـر مُـنْـذُ لَـقَـيـتِـه أولاكِ!
قَـدْ فزتِ فِي الأولَى بِحُبِّ «مُحَمَّد» ... وظَـفَـرتِ فـي الأخْـرَى بِـمَـا مَـنَّـاكِ
بَـيْـت مَـنْ الـقَـصَـب الـبَـدِيـع أعَـدَّه ... لكِ «ذوالـجَـلاَل» مُـكَـافِـئًـا لِـسَـخَـاكِ
مَـا فِـيـه مِـنْ صَـخـبٍ وَلاَ نَـصـبٍ وَمَـا ... فَـازَتْ بِـمِـثـلـهِ جِـبَّـةٌ إلَّاكِ
كُـنْـتِ الأثـيـرَة فِـي حـيـاة حـبـيـبـه ... ولأجـلـه أعْـطَـاكِ مَـا أعْـطَـاكِ
يَـا أُمَّـتـا قَـدْ جِـئْـتُ بَـابـكِ طَـامِـعَـاً ... بِـنَـوَال غَـيـضٍ مِـنْ جَـزيـل نَـدَاكِ
فَـالأم لاَ تَـرْضَـى بِـخِـذْلاَن ابـنِـهَـا ... لَـوْ أبـصَـرَتْـه عَـلَـى شَـفِـيـر هَـلاكِ
وأنَـا بِـدونَـكِ هَـالِـكٌ لـكـنـنـي ... أزمَـعْـتُ يَـأسَـاً مِـنْ حَـنَـان سِـوَاكِ

(1) اللطيم من يموت أبواه، واليتيم من مات أبوه، والعَجِيُّ من ماتت أمه.
(2) الجدا: العطاء.

فحَنَان مثْلَكِ لاَ يُزنُّ بِرِيْبَةٍ[1] يَا خَيرِ أمٍّ فِي الوجُودِ أَرَاكِ
مَا رمتُ مَدْحَكِ بَلْ أهَابَ بِي الوَفَا إِظْهَارْ وِدِي نَحو خَيرِ مَلاَكِ
قَدْ شَاءَهَا رَبُّ السَمَاء أمًّا لَنَا وَهو العَلِيم بِمَا وَعَى عِطفَاكِ
مِنْ فَيْضِ عطفٍ بَلْ حَنَانٍ سَابِغ لِلْمؤمِنِين أرَادَه مَوْلاكِ
وعَسَاي أَنْ ألقَاكِ خَير عطوفةٍ فَتُرَقِقِي قَلْب الَذِي يَهْوَاكِ
يَوْمَ الشَفَاعَة كَيْ أفُوز بِشَفعه وَإِخَالُ أنَه لَنْ يَخِيبَ رَجَاكِ
عِنْدَ الحَبِيب «مُحَمَدٍ» فَلَطَالَمَا ألفَيْتِه يَسْعَى لِنَيْل رِضَاكِ
ونشدتُ خير وسيلةٍ ترضيكما فَوَجَدتُ خير وَسِيلَة «زَهْرَاكِ»
ولَعَلَ حُبِّيَ لِلْنَبِي وَآلِه يهدي إلى قَلبِي أحب فَكاكِ
مِنْ حَر نَار لاَ يَقِي مِنْ حَرِها إِلا حَمَى خَير الْوَرى وَحَمَاكِ
وأنَا لِفَضْلِكُمَا جَعَلت تَطَلُّعِي وبِبَحْر وِدكُمَا رَمَيت شِبَاكِي

أيتها الأم الحنون، ألتمس أن تأذني لي في نشر بعض السطور من صفحات سيرتك الفياضة بالضياء والهدى، والمضمخة بأطيب الطيب. وأعطر الشذا، ليعلم الناس أي أم رؤوم كنت، وبأية شيم تحليت، وأية ذرية صالحة أنجبتِ، فمن هي أعظم أمهات المؤمنين؟.

نسبها: إنها «خديجة بنت خويلد بن أسد» القرشية الأسدية، وأمها «فاطمة بنت زائدة بن الأصم»، نافست أباها في الحزم والذكاء، وفاقت أمها في الحسن والبهاء، ولما اشتد عودها وأنضر، وأصبحت مطمعاً لمن عنده نظر، تهافت الخطاب لكسب ودها، وقطف ثمار السعادة بقربها، ورجَّح ابن عبد البر في «الاستيعاب» أنها تزوجت مرتين قبل رسول الله ﷺ، الأولى من «أبي هالة؛ هند بن النَّبَّاش بن زرارة»، والثانية من «عتيق بن عائذ بن مخزوم»، أما قتادة، فذكر أن الأولى من «عتيق» والثانية من «أبي هالة».

(1) لا يُزَنُّ بريبة: لا يشك فيه.

زواجها من رسول الله ﷺ: بعد أن آمت السيدة «خديجة» للمرة الثانية، لم تعد تفكر في الزواج، ودفعها المال الوفير الذي خلَّفه لها زوجها«عتيق» إلى دخول ميدان التجارة، فكانت تبعث الرجال في تجارتها لقاء أجر معلوم. ولما سمعت عن أمانة «محمد بن عبد الله» وصدقه، استدعته ليخرج مع قافلة قريش إلى بلاد الشام بصحبة غلامها «ميسرة» وكان ذلك أول لقاء لها بأعظم الرجال، كانت «خديجة» رضي الله عنها تملك ذكاءً وقاداً، ونظراً ثاقباً، أبديا لها لطفه وورعه وشدة حيائه، فوافق ما رأته منه، ما سمعته عنه، ولم يمنعها علو شأنها، وسمّو مكانتها، وشرف قومها، من أن تحدث نفسها بعد أن ردت أكابر قريش وأشرافها خائبين، وتفاتحه في خطبتها، ولكنها أرجأت ذلك حتى يعود من الشام مع غلامها، وتعلم ما صنع بمالها.

وعاد التاجر المبارك بصحبة «ميسرة»، وكانت «خديجة» شديدة اللهفة للقائهما. وكان في جعبة «ميسرة» من الأخبار السارة ما لم يخطر لها على بال. فقد أخبرها «ميسرة» أنه في الطريق إلى الشام مرا بصومعة راهب نصراني، وكان إلى جانب الصومعة شجرة فجلس «محمد» ﷺ تحتها يتفيأ ظلالها، ولما رآه الراهب نادى على «ميسرة» وسأله عن الجالس تحت الشجرة، فأجابه: إنه رجل من قريش، فقال الراهب: إن هذه الشجرة ما نزل تحتها إلا نبي. هذه واحدة، وتابع «ميسرة» حديثه: وأثناء الطريق رأيت عجباً، رأيت غمامتين تُظَلِّلانه، وهو فوق بعيره، تقيانه حَرَّ الشمس، وهذه ثانية، وأما الثالثة فكانت مضاعفة أرباحها عما كان يأتيها به من كانوا يتَّجِرون لها.

لقد حقق «محمد» ﷺ كل ظنون «خديجة» الحسنة به، فطلبت إليه أن يخطبها، ولما أخبرها بضيق ذات يده، قالت: إنها ستكفيه مؤونة ذلك، وتم الزواج الميمون، وكان عمره ﷺ يومئذٍ خمساً وعشرين سنة، وأما العروس فكانت في الأربعين، وأصبحت أماً للمؤمنين.

وقضى الزوجان خمسة عشر عاماً في ظلال السعادة والهناء، وأثمر هذا الزواج المبارك أينع الثمار، فقد نقل أبو عمر بن عبد البر في «الاستيعاب»

عن مصعب الزبيري: [ولد لرسول الله ﷺ «القاسم» وبه كان يكنى، و«عبد الله» وهو«الطيب» و«الطاهر» لأنه ولد بعد الوحي؛ وزينب، وأم كلثوم، ورقية، وفاطمة] رضوان الله تعالى عليهم، وقد هلك القاسم وعبد الله في الجاهلية أما الإناث فقد أسلمن وهاجرن إلى «يثرب» وبعد أن استقر برسول الله ﷺ المقام فيها بعث مولاه أبا رافع وزيد بن حارثة ليأتياه بهن.

بدء الوحي: نزل «جبريل» عليه السلام على رسول الله ﷺ، وهو يتحنث - أي: يتعبد - في غار حراء، وقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن بدء الوحي، [حدثنا يحيى بن بكير، قال: حدثنا الليث عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة - أي: الصادقة التي يجري في اليقظة ما يوافقها - في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فَلَقِ الصبح - أي -: ضيائه-، ثم حُبِّب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء، فجاءه المَلَكُ فقال: أقرأ،قال: (ما أنا بقارىء)، قال: فأخذني فغَطَّني حتى بلغ مني الجهْدَ، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: (ما أنا بقارىء)، فأخذني فغطَّني الثانية حتى بلغ مني الجَهْد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: (ما أنا بقارىء)، فأخذني فغطَّني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾ [العلق: 1-3]، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على «خديجة بنت خويلد» رضي الله عنها فقال: (زمِّلوني زمِّلوني) - أي: غَطُّوني- فزمَّلوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة، وأخبرها الخبر: (لقد خشيت على نفسي)، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحمَ، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد من عبد العُزَّى، ابن عم خديجة، وكان امرءاً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب

العبرانيَّ[1]، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية[2] ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عميَ، فقالت له خديجة: يا بن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا بن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموسُ -أي: صاحب السر، والمراد جبريل عليه السلام- الذي نَزَّل الله على موسى، يا ليتني فيها جَذَعٌ - أي: شابٌّ-، ليتني أكون حيَّاً إذ يُخْرِجُكَ قومك، فقال رسول الله ﷺ: (أَوَ مُخْرِجيَّ هُمْ؟) قال: نعم، لم يأت رجل قطُّ بمثل ما جئت به إلَّا عُودي، وإن يدركني يومك أَنْصُرْك نصراً مؤزَّراً- أي: قوياً-، ثم لم ينْشَبْ- لم يلبث- ورقة أن توفي، وفَتَر الوحي][3].

إسلام خديجة: وزاد قولُ ورقة رسول الله ﷺ ثقة وثباتاً، وفارقه الفَرَقُ الذي اعتراه، وكانت «خديجة» وبناتها أول النساء إسلامًا، ورُحْنَ يثبتن رسول الله ﷺ، ويُسَرِّين عنه ما يلقاه من أعداء الله، وخصوم رسالته، من سفهاء قريش وأكابر مجرميها.

وأخرج «أبو عمر بن عبد البر» -رحمه الله تعالى- في «الاستيعاب»، قال: [وحدثني إسماعيل بن أبي حكيم أنه بلغه عن خديجة أنها قالت لرسول الله ﷺ: يا بن عم، أتستطيع أن تخبرني بصاحبك إذا جاءك؟ تعني جبرائيل عليه السلام، فلما جاء جبرائيل عليه السلام، قال: (يا خديجة هذا جبرائيل قد جاءني)، فقالت له: قم يا بن عم فاقعد على فخذي اليمنى، ففعل، فقالت: هل تراه؟ قال: (نعم)، قالت: فتحوَّل إلى اليسرى، ففعل، فقالت: هل تراه؟ قال: (نعم)، قالت: فاجلس في حجري، ففعل، فقالت: هل تراه؟ قال: (نعم)، فألقت خِمَارها، وحَسَرَت عن صدرها، فقالت: هل تراه؟ فقال: (لا)، قالت: أبشر، فإنه والله مَلَكٌ وليس بشيطان].

---

(1) عند مسلم: العربي.

(2) عند مسلم: بالعربية [حديث: 252/ 160].

(3) صحيح البخاري رقم [3].

نزول أمر الله تعالى بالجهر بالدعوة:

وتتابع نزول الوحي على رسول الله ﷺ ، حتى إذا نزل قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الحجر: 94] ، قام رسول الله ﷺ من فراشه، ولما سألته خديجة عن سبب عدم نومه أجابها بقوله: (انقضى زمن النوم والراحة يا خديجة!).

وبدأ الإسلام يفشو وينتشر، وانطلق رسول الله ﷺ بدعوته من السر إلى العلن، فأجابه المستضعفون، وأظهر زعماء قريش له أبشع ألوان العداوة والخصام، وكان أكثرهم إيذاءً له أحد الأعمام، إنه «أبو لهب»، وزوجه حمالة الحطب.

كان أبو لهب قد خطب ابنتي رسول الله ﷺ «رقية» و«أم كلثوم» لولديه «عتبة» و «عتيبة»، ولما دعا رسول الله ﷺ قومه إلى الإسلام، اتفق «أبو لهب» مع امرأته «أم جميل» الملقبة بحمالة الحطب على أن أعظم ما يمكن أن ينزلا برسول الله ﷺ من الأذى أن يردا إليه ابنتيه. فأمرا ولديهما بطلاقهما، وشاءت إرادة الله أن يتم ذلك قبل الدخول بهما، لما أراد الله لهما من الكرامة، ولخطيبيهما من الهوان، وطلق «عتبة» «رقية»، ولم يكتف «عتيبة» بطلاق «أم كلثوم». بل ذهب إلى رسول الله ﷺ وأمعن في شتمه وإهانته، جبذه من ثوبه جبذة شديدة تركت أثرها على جسده الشريف، فدعا عليه رسول الله ﷺ على مسمع الملإ من قريش، وقال: «اللهم سلِّط عليه كلباً من كلابك»، ولما خرج مع أبيه «أبي لهب» ونفر من قومه إلى الشام، جاء الأسد إليهم وهم نيام، فتشمَّمهم، حتى إذا وقف على «عتيبة» ضربه ضربة شدخ بها رأسه، فمات لتوه، وانتصر الله لنبيه ﷺ. ودأب «أبو لهب» يمشي خلف رسول الله ﷺ وكلما رأى نفراً ودعاهم إلى الإسلام، قال لهم «أبو لهب» من ورائه: لا تسمعوا لقوله، إنه كذاب، وأما امرأته حمالة الحطب، فكانت تلقي الأذى والحسك والشوك على طريقه، فإذا وطئه كان كأنه قد وطىء على الحرير، إنها صورة من صور عناية الله تعالى برسول

الله ﷻ وحفظه من عبث العابثين، ومكر الماكرين، وأنزل الله سورة المسد فأخزى بها «أبا لهب» وامرأته إلى أبد الآبدين.

ولم يكن «الحكم بن هشام»المعروف بأبي جهل أقل سفاهة وشقاء من هذين الشقيَّين، فقد أسرف في إيذائه وإيذاء أصحابه حتى أذن رسول الله ﷻ لهم بالهجرة إلى الحبشة لأن فيها ملكاً لا يظلم على أرضه أحد.

وتزوج «عثمان بن عفان» من «رقية» رضي الله عنهما، وقيل فيهما:

أحسن شخصين رأى إنسان رقية وبعلها عثمان

ولما انطلقت قافلة المهاجرين إلى الحبشة كان «عثمان» وزوجه «رقية» في طليعتهم، وهناك أنجبت له ولده «عبد الله»، وعاش المهاجرون في سعادة سابغة، وفي أكرم جوار من ملكها «النجاشي» الذي اعتنق الإسلام بعد زمن يسير.

من فضائل السيدة خديجة رضي الله عنها: أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي كريب، حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه، قال: سمعت عبد الله بن جعفر يقول: سمعت علياً بالكوفة يقول: سمعت رسول الله ﷻ يقول: (خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد)[1].

ومن حديث شعبة عن عمرو بن مرة، عن مرة، عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷻ: (كَمَلَ من الرجال كثير، ولم يكمُل من النساء غير مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)[2].

غيرة السيدة عائشة من خديجة رضي الله عنهما: كانت عائشة تغار من خديجة على الرغم من أنها لم تدركها، وقد روى مسلم في صحيحه عن هشام بن عروة،

(1) مسلم برقم (69/ 2430).
(2) مسلم برقم (70/ 2431).

عن أبيه، عن عائشة، قالت: ما غرت على نساء النبي ﷺ إلا على خديجة، وإني لم أدركها، قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول: (أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة) قالت: فأغضبتُهُ يوماً فقلت: خديجة؟ فقال رسول الله ﷺ: (إني قد رزقت حبها)[1].

بشارة جبريل لها: وقد بلغ من فضل أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها أن جبريل عليه السلام جاءها بأغلى بشارة، فعن أبي زُرْعَة، قال: سمعت أبا هريرة، قال: (أتى جبريل النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله ! هذه خديجة قد أتتك، معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها عزَّ وجلَّ، ومني، وبَشِّرْهَا ببيت في الجنة من قَصَب، لا صَخَبَ فيه، ولا نَصَب)[2].

وروى النسائي والحاكم، عن أنس رضي الله عنه، قال: (جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال: إن الله عزَّ وجلَّ يقرأ على خديجة السلام، فقالت: إن الله هو السلام، وعلى جبريل السلام، وعليك السلام ورحمة الله)[3].

أسباب محبة النبي ﷺ لها: أخرج مسلم عن عائشة، قالت: استأذنت هالة بنت خويلد، أخت خديجة، على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة، فارتاح لذلك، فقال: (اللهم! هالةُ بنتُ خويلد) فغرتُ، فقلتُ: وما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراءِ الشدقين، هلكت في الدهر، فأبدلك الله خيراً منها![4].

وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده، عن عائشة، قالت: كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء، قالت: فغرتُ يوماً فقلت: ما أكثر ما تذكرها! حمراء الشدق، قد أبدلك الله عزَّ وجلَّ بها خيراً منها، قال: (ما

(1) مسلم برقم (75/ 2435).
(2) مسلم برقم (71/ 2432).
(3) مستدرك الحاكم برقم (3/ 186).
(4) مسلم برقم (78/ 2437).

أبدلني الله عزَّ وجلَّ خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عزَّ وجلَّ ولدها إذ حرمني أولاد النساء)[1].

مشاركتها رسول الله ﷺ معاناته في سبيل دعوته: وأسرفت قريش في غيها، وتمادت في طغيانها إلى الحد الذي ألجأت فيه رسول ﷺ وأصحابه وبعض المشركين الموالين لهم إلى شعب «أبي طالب»، وفرضت عليهم حصاراً غاشماً دام ثلاث سنوات، ومنعت عنهم خلالها الطعام والشراب والنكاح منهم وإليهم، ولم تأل «خديجة» جهداً في بذل مالها وراحتها وحنانها على نساء المسلمين وأطفالهم داخل الشعب، وكانت غايتها أن يرضى الله ورسوله ﷺ عنها والمسلمون، إنها لأسمى الغايات، وأعظمها نبلاً.

وعَزَّ على رجال من قريش أن ينعموا بأطايب الطعام، ولذيذ الشراب، مع أزواجهم وأبنائهم، وبعض أولي أرحامهم يعانون في الشعب من الجوع والعطش، فتنادوا إلى فك الحصار وتمزيق الصحيفة التي علقت في الكعبة ببنودها الجائرة، وانتصرت تلك الدعوة المنصفة، وأنهي الحصار، غير أن فرحة المسلمين بخروجهم من شعب «أبي طالب» لم تكن كما يشتهون، لأن الأطفال والشباب قد كانت لهم القدرة والجلد على تحمل وقر الحصار وآلامه، أما الشيوخ فقد ثقل عليهم وأنهكهم، وسرعان ما توالت عواقبه السيئة بالظهور، وها هو ذا «أبو طالب» يقع فريسة المرض، ثم يفارق الحياة بعد أيام قلائل، وحزن عليه النبي ﷺ حزناً عميقاً، وكان مما زاد في حزنه عليه عرضه ﷺ عليه أن ينطق بشهادة التوحيد، غير أنه أبى، ونزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: 56].

وفاتها: لم يكد رسول الله ﷺ يفارقه حزنه على عمه، حتى انهارت قوى الحبيبة الغالية، والوزيرة الصادقة، وتحلق الحبيب الأعظم ﷺ وبناته حول

(1) مسند الإمام أحمد برقم (23719).

فراش «خديجة» مع بعض الصحابة، وهي تعاني من سكرات الموت، ولم يكن أحدهم يملك لها إلا الدعاء إلى الله أن يتقبلها قبولاً حسناً ثم فاضت روحها، وكان مما صبَّر الحبيب على فراقها ثقته بلقائها في القصر الذي بشرها به روح القدس «جبريل». رحمها الله تعالى.

السيدة خليدة بنت قيس رضي الله عنها

نسبها: اسمها«خليدة» وأبوها «قيس بنت ثابت» وتزوجت «البراء بن معرور» فولدت له «بشر بن البراء» وبه كانت تُكنى. كانت أسرة «البراء» رضي الله عنه من السابقين للإسلام في المدينة، وقد شهد «البراء» بيعة العقبة الثانية، وفاز بوسام النقابة مع أحد عشر آخرين من رجال الأنصار.

وفاة بشر مسموماً: ولما انقلب النقباء إلى المدينة، أخبروا أهاليهم أن رسول الله ﷺ سيتحول إليهم، وتوفي «البراء» قبل وصول النبي ﷺ إليها، وحين أعلم بوفاته بعد مقدمه ذهب إلى قبره فصلَّى عليه ودعا له.

ويوم خيبر أهدت «زينب بنت الحارث» امرأة «سلام بن مشكم» ذراع شاة مسمومة فأخذ منها مضغته فلم يُسِغْها، وأخذ منها «بشر بن البراء» فأساغها، فلفظها النبي ﷺ وقال: (إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم)، ثم دعا بها فاعترفت، فقال: (ما حملك على ذلك؟)، قالت: بلغت من قومي ما لم يَخْفَ عليك، فقلت: إن كان نبياً فسيُخبر وإن كان ملكاً استرحتُ منه، فتجاوز عنها النبي ﷺ، ومات «بشر بن البراء» من أكلته التي أكل.

وأخرج ابن جرير الطبري في تاريخه: [عن محمد بن إسحاق، عن مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلَّى، قال: وقد كان رسول الله ﷺ قال في مرضه الذي توفي فيه - ودخلت عليه «أم بشر بن البراء» تعوده: (يا أم بشر! إن هذا الأوان وجدتُ انقطاع أبهري من الأكلة التي أكلتُ مع ابنك بخيبر).

قال: وكان المسلمون يرون أن رسول الله ﷺ قد مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة] [1].

وروى ابن ماجه عن عبد الرحمٰن بن كعب بن مالك، عن أبيه، قال: لما حضرت كعباً الوفاة أتته «أم بشر زوج البراء بن معرور» فقالت: يا أبا عبد الرحمٰن! إن لقيت فلاناً فاقرأ عليه مني السلام، قال: غفر الله لك يا «أم بشر!» نحن أشغل من ذلك، قالت: يا أبا عبد الرحمٰن! أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر تعلق في ثمر الجنة، أو شجر الجنة)؟ قال: بلى، قالت: فهو ذاك. رحمها الله تعالى.

السيدة خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها

هل أتاك حديث التي فرج الله كربتها وغُمَّاها، بعد أن سمع من فوق سبع سماوات شكواها؟ إنها «خولة بنت ثعلبة»، قال العلامة «الألوسي» في تفسير سورة المجادلة: [وهي امرأة صحابية من الأنصار اختلف في اسمها واسم أبيها، ثم قال: والأكثرون على أنها «خولة بنت ثعلبة بن مالك الخزرجية»، وأكثر الرواة على أن الزوج في هذه النازلة «أوس بن الصامت» أخو «عبادة بن الصامت»] [2] نقيب الأنصار وراوي حديث بيعة العقبة الأولى.

غضب منها زوجها «أوس» مرة فقال لها: أنت عليّ كظهر أمي، فلما أرادها أبت، وذهبت إلى رسول الله ﷺ تستغيثه فقال لها: (ما أراك إلا قد حرمت عليه)، فرفعت رأسها إلى السماء وقالت: اللهم إني أشكو إليك، اللهم فأنزل على لسان نبيك، وما برحت حتى نزل قوله تعالى ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: 1-4] فقال ﷺ: (يا خولة! أبشري) قالت: خيراً، فقرأ ﷺ الآيات. وكان «عمر» رضي الله عنه يكرمها إذا

(1) تاريخ الطبري (3/ 15-16).
(2) تفسير روح المعاني (28/ 3).

دخلت عليه ويقول: قد سمع الله تعالى لها. قال أبو عمر: [وروينا من وجوه، عن عمر بن الخطاب أنه خرج ومعه الناس، فمر بعجوز، فاستوقفته، فوقف، فجعل يحدثها وتحدثه، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين! حبست الناس على هذه العجوز! فقال: ويلك! تدري من هي؟ هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، هذه «خولة بنت ثعلبة» التي أنزل الله فيها: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: 1] والله لو أنها وقفت إلى الليل ما فارقتها إلا للصلاة، ثم أرجع إليها][1].

وقد روى «خليد بن دعلج»، عن قتادة قال: خرج «عمر» من المسجد ومعه «الجارود العبدي»، فإذا بامرأة برزت على ظهر الطريق، فسلم عليها «عمر»، فردت عليه السلام، وقالت: هيهات يا «عمر»! عهدتك وأنت تسمى «عميراً» في سوق عكاظ ترعى الضأن بعصاك. فلم تذهب الأيام حتى سميت «عمر»، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين، فاتق الله في الرعية، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي عليه الفوت، فقال الجارود: قد أكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين، فقال «عمر»: دعها أما تعرفُها؟ فهذه «خولة بنت حكيم» امرأة «عبادة بن الصامت» التي سمع الله قولها من فوق سبع سماوات، فعمر والله أحق أن يسمع لها. هكذا في هذا الخبر «خولة بنت حكيم» امرأة «عبادة بن الصامت»، وهو وهم، و«خليد» ضعيف، سيىء الحفظ، وإنما هي امرأة «أوس بن الصامت» على الاختلاف في اسم أبيها.

وعن ابن إسحاق، قال: حدثني معمر بن عبد الله، عن يوسف بن عبد الله بن سَلاَم، عن خويلة بنت ثعلبة، قالت: «فِيَّ وفي «أوس بن الصامت» أنزل الله سبحانه صدر سورة المجادلة» رحمها الله تعالى.

(1) الاستيعاب (4/ 1830).

السيدة خَيْرَة بنت أبي حدرد رضي الله عنها «أم الدرداء الكبرى»

ذكر ابن الأثير في «أسد الغابة» أن لأبي الدرداء امرأتين كل منهما يقال لها: أم الدرداء، فالكبرى تدعى «خيرة» وأبوها «أبو حدرد» ولها صحبة، والصغرى تدعى «هجيمة الوهابية» وأبو حدرد اسمه «عبد». قاله يحيى بن معين وأحمد بن حنبل. هذا هو الصحيح وما سواه وهم.

كانت «أم الدرداء الكبرى» من فضلاء النساء وعقلائهن، وذوات الرأي منهن مع العبادة والنسك، وقد توفيت بالشام في خلافة «عثمان بن عفان» رضي الله عنه وذلك قبل زوجها «أبي الدرداء» بسنتين.

وكانت قد حفظت عن النبي ﷺ، وعن زوجها «أبي الدرداء» عويمر الأنصاري. وروى عنها «صفوان بن عبد الله» و «ميمون بن مهران» و «زيد ابن أسلم».

وليس لأم الدرداء الصغرى صحبة ولا رواية، وقد خطبها «معاوية بن أبي سفيان» بعد «أبي الدرداء» فأبت أن تتزوج.

رحم الله تعالى أبا الدرداء وامرأتيه.

السيدة درة بنت أبي سلمة رضي الله عنها

والدها «أبو سلمة بن عبد الأسد»، قرشية، مخزومية، وأمها «أم سلمة» زوج النبي ﷺ. و«درة» ربيبته.

وفي حديث الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عراك بن مالك أن «زينب بنت أبي سلمة» أخبرته أن «أم حبيبة» قالت: يا رسول الله! إنا تحدثنا أنك ناكح «درة بنت أبي سلمة»، فقال رسول الله ﷺ: (أعلى أم